

## كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر الامير فخر الدين عثمان ابن سيف الدين يحيى ابن زين الدين صالح

كان فخر الدين شاباً عاقلاً فطناً ذا معرفة وافرة حوى منذ صغر سنه فنوناً من المعارف مع كتابة حسنة وبلاغة وفصاحة. وكتب مدةً على الزياي شيخ الشام بالكتابة المنسوبة ثم جرد على شهاب الدين ابن جوبان الكاتب بعض تجويد وتعلم شيئاً من النحو وحفظ ملحة الاعراب للحريري وكان له رغبة في مطالعة الكتب وتواريخ الاقدمين والنظر في كتبهم وله معرفة في القريض والنثر بترجمة شريفة ونسج المعاني وانشاء الكلام وكان اذا شرع في كتابة شيء من المكاتبات والمراسلات وغيرها اشغله ذلك عن سماع كلام الخاطب له وعن رد الجواب عليه. واجمع من رأوه على انهم لم يروا احداً على هذه الطريقة مثله ومثل الشيخ الثقة (كذا) الذي كان ثانياً عن ناظر الجيش في ديوان الجيش بالشام وبالجملة فالذكر كان جامعا محاسن كثيرة محتوياً على لطائف عدة منها ما كان يحفظه لبديع الزمان من نظم ونثر وبعض معرفة بالجبر والمقابلة وصناعة الحساب اشتغل في ذلك على نجم الدين كاتب الميناء في بيروت. وتولى رئاسة ابيه بعد وفاته سنة تسعين وسبعمائة (١٣٨٨ م) وكان عمره اذ ذلك (١١١٢) قريبا من ثمانين سنة فحزم رأيه وراس نفسه سياسة تعجز عنها الشيخ الكبار. وسمعت من جماعة شيوخ لهم قدمة في السن من البيت ومن غيره انه لم ينشأ في البيت مثله في صغر سنه فسلط في رئاسته احسن طريقة فشكره قومه وكان الناس يتعجبون من حسن عقله وسياسته في صغر سنه مع انه قاسى في ايامه صعوبة ومشقة من اختلاف الدول وما جرى بينها من الفتن مع جملة الديون الكثيرة المتخلفة عن والده والمنازم والكلف بتغييرات نواب الشام في تلك السنين. ومع هذا جميعه كان ثابت الجأش واجل الحزم قويا المهمة شديد العزم حج الى البيت الحرام مع ابيه كما تقدم ذكره وكان المذكور متواليا جميع امور ابيه

ذكر بعض حوادث جرت في ايامه

في سنة احدى وتسعين وسبعمائة (١٣٧٩ م) خرج السلطان الملك الظاهر بقوق

من سجن الكرك وحضر الى دمشق وحاصرها بعد ان كسر نائبها جنتر. وكان في ذلك الوقت دولت بار السنجاري عينه امراء الطبلخانات بدمشق متولياً في بيروت. فارس السلطان برقوق مرسومه وهو محاصر لدمشق الى امراء القرب يستدعيهم بالحضور اليه ورسم لهم ان يحملوا على دولت بار المتولي ريسكوه ان امتنع عن الحضور معهم. وورد ايضاً على دولت بار المذكور مرسوم يمثل ذلك. فاتتوا جميعاً وتوجهوا الى السلطان برقوق (١) وهو مقيم (١١١٧) على قبة يلبغا محاصراً لدمشق وطلب منهم رصاص منجنيق كان في بيروت فارسلوا عز الدين حسن ابن ظهير الدين علي بن جواد لاحضار ذلك

ونظر السلطان برقوق امراء القرب بين الحجة واسترأ عنده في هناء حتى حضر ترغوا منتطاش بالسلطان حاجي الملعب بالنصور وبالمساكر المصرية. فتوجه السلطان برقوق الى شقبة لتتال منتطاش ومن حضر معه وجعل على ميسته كتبنا الحسوي نائب حاب. وكان امراء القرب مع كتبنا المذكور في الميثة فكر عاكر منتطاش ميثة برقوق فانهزم كتبنا وامراء القرب معه وعادوا الى بلادهم وهم يظنون ان برقوق مكسور مع انه كان منصوراً في تلك الوقعة. فلما وصل امراء القرب الى القرب وجدوا ارغون من قبل المنتطاشية قد حضر الى بيروت متولياً عليها واجتمع عليه علي ابن الاعشى واقاربه من تركين كسروان وجماعة من المنتطاشية. وكان القرب قد عصي عليهم لكون اقاربهم عند السلطان برقوق. فتوجهوا لمحاربتهم وتزل اهل القرب الى قرب الساحل ولم يحسنوا التدبير فاستظهر عليهم المنتطاشية وقتلوا منهم تسعين نفراً ومكوا منهم جماعة فسروا منهم البعض وسطروا البعض ونهبوا ما وجدوا في بيروت لامراء القرب. وكان لفخر الدين المذكور في بيروت زيت وصابون وقماش وآلات مختلفة عن والده فنهبوا ذلك جميعه (١١٢٢) وحصل على المذكور بذلك ضرر كثير وكان قد حصل عند امراء القرب من هزيمتهم من شقبة حاصل كبير فتضاعف بما جرى في

(١) جاء في حاشية الكتاب ما نصه: امراء القرب الذين توجهوا الى السلطان برقوق في قبة يلبغا: فخر الدين عثمان وعاد الدين اسماعيل ابن فتح الدين وعز الدين ابن حسن ابن ظهير الدين وسيف الدين ابو بكر وناصر الدين محمد ابن جمال الدين. وهؤلاء حضروا المرافة على شقبة خلا عماد الدين الذي رجع الى البلاد عند ما ركب برقوق الى جهة شقبة وابق باهل القرب

القرب من جهة المنطاشية . لما تآدى بهم المآم في البلاد حتى تعقبهم من كان تخلف عنهم من جماعتهم في شتعب واخبروهم بان السلطان بقوق انتصر على منطاش في وقعة شتعب ثم فاز به في وقعة ثانية بظاهر دمشق وقيل لهم ان السلطان ترجه منصوراً الى مصر وفي قبضة الخليفة والسلطان حاجي ابن الاشرف شعبان والقضاة الاربعة . فلما تحقق امراء القرب ذلك توجهوا على الساحل الى مصر وكان توجيههم الى مصر في اواخر محرم سنة اثنتين وتسعين وسبعائة (١٣٩٠م) فكان وصولهم الى مصر غريب وصول السلطان بقوق حتى ظن انهم حضروا في جملة الساكر معه وأتفق عليهم مثلاً أنفق على الساكر واعطى السلطان بقوق نيابة الشام الطنبغا الجوباني . فلما عاد امراء القرب الى البلاد وجدوا علي بن الاعمى وجماعة تركان كسروان قد طلوعوا واقعدوا باهل القرب وكسروهم وقتلوا منهم جماعة ونهبوا عدة قري وكان في جملة القتولين عماد الدين موسى ابن حسان بن ارسلان وكان المذكور خير قومه واجودهم . فلما استقرت قواعد الدولة الظاهرية برءوا لقائمة تركان كسروان علاء الدين ابن الحرقوش (?) وعشران البقاع قتلوا علي بن الاعمى وهزموا جماعته (١١٢٢) من التركان وبعد مدة مسكوا اخاه عمر ابن الاعمى ثم افرجوا عنه بعد حبسه مدة وحصل عليه مشقة

فلما برت الواقعة التي قتل فيها الجوباني اعطوا يلبغا الناصري نيابة الشام . فطلب امراء القرب ان يكونوا مجردين بدمشق فتوجه فخر الدين وجماعته وحضروا مع يلبغا الناصري في الحروب التي كانت بينه وبين منطاش بدمشق وقتل جماعة امراء القرب في هذه الحروب المذكورة عز الدين عبد العزيز المقلاني محتسب بيروت . ولما جرى المصاف بين الناصري المذكور ونير (?) البديري بارض عذراء بظاهر دمشق كان امراء القرب مع الناصري وكانت الكسرة على الناصري وجرى على عسكر الشام كل مكره ونهب امراء القرب وجميع جماعتهم وُبرح منهم جماعة . وممن وُبرح فخر الدين المذكور في صدغه برحاً بليماً وقد شجاع الدين عبد الرحمان ابن عماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمد . وقتل في ذلك اليوم علاء الدين ابن الحاش (?) وكان ذا سطوة وكان منطاش قد قتل قبله اياه واخاه اسكها في بلبك . وكان السلطان قد اعطى علاء الدين المذكور امرة طبلخانة . ولم تزل بلاد الشام في خباط حتى قتل منطاش وحضر السلطان بقوق الى حاب وقتل الناصري فهذأت بلاد الشام بذلك

فلما سكن الاضطراب جعل السلطان يولي على الشام في كل وقت نائباً جديداً فما زال امراء العرب وفخر الدين في مغارم وتعب حتى تولى الشام تشم (١١٣) فاستقرت القواعد وكانت أيام تشم احسن الايام وكان فخر الدين المذكور بمسد وفاة ابيه قد شرع في تكلمة ايوان بيروت الذي كان عمره ابوه وكان تأخر من عمله البياض والطراز والترخيم فام يكمل ذلك حتى جرت حركة النطاشية في بيروت فبطل الصناعات منه ولم يكمل ذلك. وكان فخر الدين قد شرع بوفاء ديون ابيه فوفى منها جانباً ولم يطل عمره حتى يكملها وكان كبير الاجتهاد عليها. وفاته رحمه الله تعالى في الثالث الاول من لية الاربعاء. عشرين من شهر محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة (١٣٩٣ م). وقد اجمع قول اقاربه على انه لما توفي كان عمره اربعمائة وعشرين سنة ومنهم من قال انها تنقص شهراً واحداً ومنهم من قال انها تزيد اربعة عشر يوماً. ثم بعد وفاته بايام قليلة كان طاعون هلك فيه صبيان كثيرون واطفال وبعض الكبار. وكان عاماً في سائر البلاد (١)

والصغار الذين توفوا من البيت هم عبد الرحمان سمي اخ له توفي قبله واحمد وفاطمة وهؤلاء اخوة فخر الدين عثمان المذكور. وتوفي احمد ابن شرف الدين عيسى ابن شهاب الدين احمد وحسن ابن ناهض الدين حمزة ابن فتح الدين محمد ثم ابراهيم وكان سمي اخ له توفي قبله وهو ابن ناصر الدين الحسين ابن تقي الدين ابراهيم بن الحسين ثم علي وكان سمي اخ له توفي قبله. ثم احمد ويوسف واختهما اولاد عز الدين ابن علي بن جواد. هؤلاء جميعهم كانت وفاتهم في جمادى الاولى سنة ست وتسعين وسبعمائة (١٣٩٤ م) (١١٣)

ذكر الامير شجاع الدين عبد الرحمان بن عماد الدين اسماعيل ابن فتح الدين محمد

كان هذا الامير شجاعاً جواداً متطيماً باخلاق الناس وكان ابوه عماد الدين اسماعيل قد تزل له عن اقطاعه وهو امرية عشرة فتجرد مع امراء العرب في نوبة يلبغا الناصري صاحب الشام لما حارب نصير امير العرب على قرية غذراء بظاهر دمشق وانهمز الناصري المذكور وسلبت عربان نصير عسكر الشام وقتلت منهم خلقاً كثيراً وسلبوا

(١) جاء في هامش الكتاب بيان في الطاعون :

« قُبِحَ الطاعون دا » ذهب فيه الاحبة ارض الانسان بيماً كل محبوب بمبه »

امراء القرب وُجرح منهم جماعة وُقُتد من بينهم شجاع الدين عبد الرحمن المذكور وذلك سنة ست وتسعين وسبعائة (١٣١٣ م) وكان عمره قريبا من سبع عشرة سنة وكان مع هذا السن رجلاً ملتجياً يعلق المشط بلحيته وبتي اهله مدة بعد قتله يرجون انه سير عرب فغير ويعلمون نفوسهم بهرده ثم ايسوا بعد مدة واسترجع ابره الاقطاع عن ولده لانه لم يكن له ولد ذكر غيره

ذكر الامير جاء الدين داود بن علم الدين سليمان ابن شهاب الدين احمد

كان رجلاً عاقلاً قليل الجبل ساكن الطباع ريش النفس لم يكن عنده الثغرات الى شي من انواع الصيد واللهم ساس نفسه ودبر حاله بعقل ودعة. وأغري بالكتابة فكتب كتابة كنية واجود كتابته الثلث وهو دون طبعة ابيه المقدم ذكره. واشتمل في صناعة الصياغة ونقشه جيد اقتبس الصياغة من خاله ناصر الدين محمد (١١٤٦) ابن جمال الدين محمد ابن زين الدين. واقطاعه رحمان ونصف وهو كان اولاً لصلاح الدين من بني اولاد ابي الجيش من عرامون. وكان لصلاح الدين المذكور امرية خمسة. فانتفق شهاب الدين احمد واخوه سيف الدين يحيى ولدا زين الدين على اخذ هذه الامرية وان يجعلها لولدهما علم الدين سليمان ابن شهاب الدين ولقصر الدين عثمان ابن سيف الدين فلم يحضر المنشور حتى توفي علم الدين المذكور فقتل شهاب الدين لابن اخيه فخر الدين عمّا كان باسم ولده وبيت امرية الخمسة بكاملها لفخر الدين. فلما توفي فخر الدين في عشرين محرم سنة ست وتسعين وسبعائة (١٣١٣ م) جعلوا لبها. الدين داود نصف امرية بواسطة عتيه شرف الدين وسيف الدين ابي بكر السابق ذكرهما .

وكان مولد بها. الدين داود نقلاً عن خط والده المترب من نهار الجمعة العاشر من شهر شعبان سنة اربع وسبعين وسبعائة (١٣٧٣ م) الموافق للرابع من شهر شباط. ولما جاء تيسرنك الى بلاد الشام سنة ثلاث وثمانائة (١١٠٠ م) وحضر الملك الناصر قوج بن برقوق لحاربتة ارسل قبل وصوله الى دمشق مرسوماً الى تنكز بنا نائب بعلبك والكاشف على صيدا. ويروت ان يأخذ عشرين البقاع وصيدا. ويروت ويلاقي السلطان الى دمشق فحضر تنكز بنا الى صيدا. ويروت فتوجه امراء القرب معه وبينهم بهاء الدين المذكور وتوجه المتقدمون والعشرون من ثلاث معاملات ومعهم متوكي بيروت وهو (١١٤٧) ناصر الدين محمد بن سويدان البيدمري. فلما وصلوا وادي دمر ورا. جبل الصالحية

وجدوا عساكر السلطان هاربة من تيسر لك فرجع المذكورون مع الهاربين وتصور لهم ان التيسر لئكية تطردهم فلاذوا هم ايضاً الى الهرب ورموا لبوسهم وبعض سلاحهم وقماشهم ليخفوا بذلك عن خيولهم ووثقوا على السرعة باحثه . ففارق كل خيل خيله ولم يلتفت الرقيق الى رفيقه وقد في ذلك اليوم بها . الدين المذكور ولم يعلم له خبر . فن رقت من قال : رايته وصل الى البقاع . ومنهم من قال : كان قدأمانا عند وصولنا الى زبدل . ومنهم من قال : انقطع عند ميسون ولم يصل الى البقاع . ومنهم من ظن انه اختلط بمسكر السلطان وراح معهم الى بروادي التيم . واختلف القول في امر المذكور ولكن القول المرجح انه تعدى البقاع في اوائل الناس . والمظنون انه اصيب عند بساين زبدل او فورتها والله اعلم « وعند الله تلتقي الخصوم »

وقد اصيب من عسكر السلطان في ذلك اليوم وبعده من العشران واهل الجبال خلق كثير ومن انفر من المكر اباده العدو سلباً وقتلاً وبيعت الخيل واللبوس والسلاح بارخص الاثمان . وجرى على المنفردين من المكر ما لا يستحاه عباد النار والاورثان قتال الله العدو والعافية . وكان هرب المكر من تيسر لك يوم الجمعة العشرين من جمادى الاول سنة ثلاث وثمانائة ( ١١٠٠ م ) وهو اليوم الذي فقد فيه بها . الدين المذكور ( التتة للآتي )

## المشاهد القتانية في رحلة الاستانة

للأب بولس جرون البسوي ( تتمة لاسبق )

٥

وصفنا في مقالنا الاول شيئاً من الآثار القديمة التي تزين الاستانة وتذكر مفاخرها الغابرة فبقي علينا ان نورد عن محاسنها الحاضرة ما راقنا مدة اقامتنا فيها ان في عاصمة الدولة العثمانية اوقمها بين قارتي اوربة واسية آثاراً لتمدنين مختلفين احدهما متحدث جديد ياتيها من العالم الاوربي والآخر قديم وهو ثمرة الشرق . فاما الاول فلا حاجة الى الإطالة في وصفه وهو عبارة عن دور رحبة حافة بسباب الهنا . ومخازن كبرى تردهم فيها الباعة والمشترون وسراسح ومطاعم الى غير ذلك